بناءُ المعاني على أسلوبِ الشَّرْط في أحاديثِ فَضْلِ العِلْم دراسة بلاغية في كتاب (رياض الصالحين من كلام سيّد المُرسَلين) للإمام النووي « ت٦٧٦هـ »

الدكتور

علي عبد الموجود نورالدين محمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

العدد العشرون

للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٦م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد فأجاد، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحساب.

وبعد...

فإن تدبُّرَ بيان النبوة وفهمَه، وتتبعَ أساليبه وطرائقه في الإبانة، والوقوفَ على أسراره ودقائقه ورقائقه، والكشفَ عن مسالك الهدى فيه؛ بقصد نصرته وتعظيمه ونشره بين الناس،... كلُّ ذلك يمثّل جوهرَ النُّصْحِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسنته المطهّرة.

وقد اهتمَّ الإسلام بالعلم، وأعلى من قدْر العلماء، كما حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تبيان قيمة العلم وفضله، وحثَّ على تعَلُّمه وتعليمه لله تعالى، وحذَّر من كتمانه ومنعه؛ فسلَكَ في سبيل ذلك مسالك شتى في التعبير والإبانة، من شأنها ترغيب الأمة في سلوك طريق العلم النافع في الدنيا والآخرة.

ومن المسالك التي انتهجها البيان النبوي في تبيان فضل العلم تعلُّمًا وتعليمًا، التعبير بأسلوب الشرط، وبناء المعاني وإبرازها في صورة الشرط والجزاء.

وقد أورد الإمام النووي- رحمه الله- في كتاب " رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" صلى الله عليه وسلم سبعة عشر حديثًا في "باب فضل العلم"، منها ثمانية أحاديث جاء قوام البناء اللغوي فيها على أسلوب الشرط، بأداتيه: "مَن" في سبعة أحاديث، و"إذا" في حديث واحد.

ومن هنا أحببتُ أن أعيش هذه الأوقات المباركة مع دقائق وأسرار بيان النبوة في الحثّ على العلم، والكشفِ عن فضله، عن طريق بناءِ المعاني على أسلوب الشرط؛ اعتناءً بشأن العلم، وحثًّا للأمة على سلوك دروبه؛ ليحظوا بنور المعرفة، ويعبدوا ربهم على علمٍ وبيّنةٍ، ويسهموا في بناء حضارة الإنسان المعمّرة للكونِ بنور الله تعالى، وهدْي سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وقد انتهجت في هذه الدراسة منهج التحليل البلاغي، لـ "أحاديث فضل العلم"، القائمة في بنائها اللغوي على أسلوب الشرط؛ وذلك بقصد الكشف عن خصوصيات المعاني وأحوالها، ومعالم الهدى في هذه الأحاديث.

واعتمدت في تقسيم البحث على الأغراض والمقاصد المعبر عنها في الأحاديث موضع الدراسة ، وهي خمسة :

المقصد الأول ــ بيان أن العلم فتحٌ وعطاءٌ من الله تعالى قبل أن يكون اكتسابا.

المقصد الثاني ــ الحث على طلب العلم، وبيان منزلة العلماء.

المقصد الثالث ــ تأكيد بقاء ثواب العلم بعد موت صاحبه.

المقصد الرابع ــ الحث على بذل العلم والدعوة إلى الهدى.

المقصد الخامس ــ التحذير من كتْم العلم، أو طلبه لتحقيق عَرَضٍ من الدنيا.

وقد سبق ذلك تمهيد، ذكرت فيه نبذة مختصرة عن:

ــ الإمام النووي، وكتابه (رياض الصالحين من كلامِ سيّدِ المرسَلين) صلى الله عليه وسلم .

ــ أسلوب الشرط وأدواته، وسماته التركيبية والدلالية.

وختمت بذكر أهم نتائج الدراسة، ثم فهرس المصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وناصحًا لدينه ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

والله وليُّ التوفيق ،، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تمهيد

أولًا- نبذة مختصرة عن الإمام النووي

هو الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيه الشافعي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي.

ولد في "نوى" من أرض "حوران" في الجنوب الغربي من سورية، وذلك في العشر الأوسط من شهر الله المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة(٦٣١هـ)، ونشأ نشأة صالحة، وشرع في حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره قدم به والده إلى دمشق لطلب العلم، فسكن "المدرسة الرواحية"،

وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء الكبار في الشام آنذاك، منهم:

الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين عبد الدائم، وعماد الدين بن عبد الكريم الحرستاني، وزين الدين أبي البقاء خالد بن يوسف المقدسي النابلسي، والشيخ المحقّق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي، والقاضي التفليسي، وقرأ على ابن مالك كتابا من تصنيفه.

وقد لازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم، والعبادة والذكر، والصبر على العيش الخشن في المأكل، والملبس.

وتخرّج على يديه جماعة من العلماء، منهم:

الخطيب صدر الدين سليمان الجعفري، وشهاب الدين الأربدي، وشهاب الدين بن جعوان، وغيرهم.

وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله.

وسافر آخر عمره إلى بلدته نوى، وزار بيت المقدس، والخليل، ثم رجع إلى نوى، فمرض عند أبويه، وتوفي ليلة الأربعاء لست بقين من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة (٦٧٦هـ)، ودفن ببلده وقبره مشهور بها[١].

مؤلفاته

تعلم الإمام النووي في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، وصنف العديد من المؤلفات في الحديث والفقه والزهد، من هذه المؤلفات :

١- تهذيب الأسماء واللغات (في التراجم والطبقات)عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢- منهاج الطالبين وعمدة المفتين (في الفقه الشافعي) تحقيق: عوض قاسم أحمد عوض- الناشر: دار الفكر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث- تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت- الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل رئيس قسم الحديث – كلية العلوم الإسلامية – جامعة الأنبار – الناشر:

---

(١) ينظر: : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/٥٥-٥٦. عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)- حققه: محمود الأرناؤوط- الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت

دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٦- بستان العارفين (الرقائق والآداب والأذكار)- الناشر: دار الريان للتراث.

٧- روضة الطالبين وعمدة المفتين (فقه شافعي)- تحقيق: زهير الشاويش- الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان- الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٨-التبيان في آداب حملة القرآن. (علوم قرآن) ، حققه وعلق عليه: محمد الحجار- الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م- الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٩-الأربعون حديثا النووية (الرقائق والآداب والأذكار) الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ..... وغيرها[١].

ثانياً - كتاب (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)

من كتب الحديث المهمة والمشهورة، التي حظيت بعناية كبيرة من العلماء وعامة المسلمين؛ لما تميَّز به من اختيار الأحاديث التي تحثُّ على إخلاص العبادة لله تعالى، والزهد والورع، والفضائل والرقائق والأذكار، وذلك عن طريق التأدب بما صحّ عن سيد الأبرار محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قسمه إلى واحد وسبعين وثلاثمائة باب(٣٧١)، بدأها بباب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأفعال والأحوال، وختمها بباب الاستغفار. وقد حمل "باب فضل العلم" رقم واحد وأربعين ومائتين، وضمّ سبعة عشر حديثا، قدّم لها بآيات من القرآن

---

(١) الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ١٤٩/٨-١٥٠- الناشر: دار العلم للملايين- الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

الكريم تبيّن فضل العلم والعلماء، وهذا شأنه في باقي أبواب الكتاب. يقول –رحمه الله– متحدثا عن طريقته ومنهجه في الكتاب:

" فَرَأَيتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَراً منَ الأحاديثِ الصَّحيحَةِ، مشْتَمِلاً عَلَى مَا يكُونُ طريقاً لِصَاحبهِ إِلى الآخِرَةِ ، ومُحَصِّلاً لآدَابِهِ البَاطِنَةِ وَالظَاهِرَةِ، جَامِعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد ، ورياضات النُّفُوسِ ، وتَهْذِيبِ الأَخْلاق، وطَهَارَاتِ القُلوبِ وَعِلاجِهَا، وصِيانَةِ الجَوَارحِ وَإِزَالَةِ اعْوِجَاجِهَا، وغَيرِ ذلكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعارفِينَ.

وَألتَزِمُ فيهِ أَنْ لا أَذْكُرَ إلاّ حَدِيثاً صَحِيحاً مِنَ الْوَاضِحَاتِ، مُضَافاً إِلى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورات، وأُصَدِّر الأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآياتٍ كَرِيماتٍ، وَأَوشِّحَ مَا يَحْتَاجُ إِلى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحِ مَعْنىً خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيهاتِ. وإِذا قُلْتُ في آخِرِ حَدِيث: مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، فمعناه: رواه البخاريُّ ومسلمٌ"(١)، رحمه الله رحمة واسعة.

(١) مقدمة كتاب رياض الصالحين ٢٧/١ – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)– تحقيق: شعيب الأرنؤوط– الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان– الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

ثالثًا- أسلوب الشرط

مفهومه- أدواته- سماته الأسلوبية

الشرط في اللغة

الشَّرْطُ: إِلزامُ الشَّيْءِ والتِزامُه فِي البيعِ ونَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ شُروط(١).

والشَّرْطُ: كلّ حكم معلوم متعلّق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له، وشَرِيطٌ وشَرَائِطُ، وقد اشْتَرَطْتُ كذا، ومنه قيل للعلامة: الشَّرَطُ، وأَشْرَاطُ السّاعة: علاماتها، قال تعالى: ﴿...فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد/ ١٨] ، والشُّرَطُ قيل: سمّوا بذلك لكونهم ذوي علامة يعرفون بها. وأَشْرَطَ نفسه للهلكة: إذا عمل عملا يكون علامة للهلاك، أو يكون فيه شرط الهلاك(٢).

وهذه المعاني الثلاثة المستفادة من تعريف الشرط في اللغة (الإلزام- التعلق- العلامة) متناغمة مترابطة؛ لأنها تلتقي في إبراز العلاقة بين فعل الشرط وجوابه، فتحقق فعل الشرط يلزم منه تحقق الجواب، وهذا يعني أن وجود الأول علامة على وجود الثاني، وأنه متعلق به ويقع بوقوعه.

والشرط في اصطلاح النحاة:" ما دخل عليه شيء من الأدوات المخصوصة الدالة على سببية الأول ومسببية الثاني ذهنا أو خارجا، سواء كان علة للجزاء مثل:"إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود" أو معلولا مثل: "إن كان النهار موجودا فالشمس طالعة" ، أو غير ذلك مثل: إن دخلت الدار فأنت طالق"(٣).

---

(١) لسان العرب لابن منظور "شرط" ٣٢٩/٧ ط: دار صادر بيروت.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٤٥٠ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي – الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ. القاموس المحيط للفيروزابادي باب الطاء فصل الشين ٣٦٥/٢ ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) التلويح على توضيح التنقيح لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ) ٢٧٩/١ – طبعة محمد علي صبيح (د.ت).

فالشرط اللغوي أو النحوي من قبيل الأسباب، بمعنى أنه يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته. ففي قولهم: "إن دخلت الدار فأنت طالق" يلزم من الدخول الطلاق ، ومن عدم الدخول عدم الطلاق، إلا أن يخلفه سبب آخر كالإنشاء أو تعليق آخر بعد التعليق، وهذا هو شأن السبب أن يلزم من عدمه العدم إلا أن يخلفه سبب آخر(١).

وَالشرط فِي اصْطِلَاحِ الْمُتَكَلِّمِينَ "مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الشَّيْءُ وَلَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي الشَّيْءِ، وَلَا مُؤَثِّرًا فِيهِ"(٢).

وعلى تعريف المتكلمين لا أثر للشرط في الجزاء، ولا تعليق بينهما إلا التوقف، أما في عرف أهل العربية فالشرط قيد في الجزاء، مثل المفعول، والظرف، فقولك: "إن جئتني أكرمك" بمنزلة قولك: أكرمك وقت مجيئك إياي، ولا يخرج الكلام بهذا التقييد عما كان عليه من الخبرية والإنشائية،؛ لأن الجزاء هو الذي يجعل الكلام خبرا أو إنشاءً، فقولك: إن جاء زيد أكرمته" خبر، وقولك: "إن جاء زيد فأكرمْه" إنشاء. فالجزاء هو المقصود بالإفادة، أما الشرط فليس مقصودًا لذاته، بل مذكور على أنه قيد فيه، بمنزلة المفعول أو الظرف مثلا.

---

(١) الشروط اللغوية أسباب بخلاف غيرها من الشروط الفعلية كالحياة مع العلم والشرعية كالإحصان مع الرجم والعادية كالسلم مع الصعود فإن هذه الشروط يلزم من عدمها العدم في المشروط ولا يلزم من وجودها وجود ولا عدم فقد يوجد المشروط عند وجودها كوجوب الزكاة عند الحول الذي هو شرط وقد يقارن الدين فيمتنع الوجوب. (ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ١٥٨/٢ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت : ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م).

(٢) التلويح على توضيح التنقيح لسعد الدين التفتازاني ٢٧٩/١ طبعة محمد علي صبيح (د.ت).

وقد خلص العلامة سعد الدين التفتازاني إلى تحقيق القول في ذلك حين ذكر الفرق بين الشرط عند المنطقيين وعند أهل العربية، فقال: " وتحقيق القول في ذلك أن مفهوم الشرطية عند المنطقيين غيرها بحسب اعتبار أهل العربية؛ لأنا إذا قلنا: "إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود" فعند أهل العربية النهار محكوم عليه، وموجود محكوم به، والشرط قيد له، ومفهوم القضية أن الوجود يثبت للنهار على تقدير طلوع الشمس... وأما عند المنطقيين فالمحكوم عليه هو الشرط والمحكوم به هو الجزاء، ومفهوم القضية الحكم بلزوم الجزاء للشرط..." [(١)].

علاقة الشرط بالجزاء:

الشرط والجزاء جملتان متلازمتان متصاحبتان، ترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط المبتدأ بخبره، ولأجل وجوب تصاحبهما جرتا مجرى الجملة الواحدة، فقولك: "إن تكرمه" بمنزلة "أخوك"، وقولك: "يكرمك" بمنزلة "منطلق" في احتياج أحدهما إلى صاحبه، وامتناعه أن يستقل بنفسه[(٢)]

ويترتب على كون الشروط اللغوية أسبابا تقدُّم الشرط على الجزاء لفظا، كما يتقدم عليه وقوعا، وإن كان الجزاء مقدما على الشرط باعتبار النزوع؛ إذ الجزاء دافع لإيجاد الشرط، وغاية له، فقولك: "إن تأتني أكرمك"، الإكرام(الجزاء): دافع وغاية لإيقاع الإتيان، والشرط (الإتيان) سبيله إلى تلك الغاية، وذلك ما نظر إليه الكوفيون وبعض البصريين حين أجازوا تقديم الجزاء على الشرط[(٣)]، ولكن

---

(١) المطول لسعد الدين التفتازاني ص١٥٣. المكتبة الأزهرية للتراث. عن مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

(٢) ينظر: المقتصد شرح كتاب الإيضاح للفارسي في النحو، للإمام عبد القاهر الجرجاني ٢٨٧/١. تحقيق/ كاظم المرجان. ط: بغداد ١٩٨٢م.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (ت٥٧٧هـ) ٥١٤/٢ المكتبة العصرية بيروت- ط: أولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

إذا نظرنا إليهما باعتبار الوقوع لا النزوع رأينا أن الشرط سبب في وقوع الجزاء، والجزاء مسبب عنه، ومحال أن يقدّم المسبب على السبب[١].

حديث البلاغيين عن الشرط

جاء حديث البلاغيين عن الشرط بوصفه قيدا للمسند، حيث ذكروا أن من أحوال المسند تقييده بالشرط، مثل: إن قام زيد قام عمرو، فإنه قُيّد فيه الجواب بالشرط، بمعن أن حصول الجواب متعلق ومرتبط بحصول الشرط ، والمقيد هنا ليس المسند بل جملة كاملة من مسند ومسند إليه[٢].

فالشرط عندهم عبارة عن: تعليق حصول مضمون جملة على مضمون جملة أخرى[٣].

وهذا التقييد يكون لاعتبارات وحالات تقتضي التقييد به، أي نكات معتبرات لكون المقام يقتضي التقييد بما يفيدها، وتلك الحالات هي تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى، إما في الماضي كما في "لو"، وإما في الاستقبال مع الجزم كما في "إذا" أو مع الشك كما في "إن"، أو في جميع الزمان كما في "مهما"، أو المكان كما في "أين"،أو جميع العقلاء كما في "مَن"، أو الأشياء كما في "ما"...[٤]

---

(١) ينظر: دلالة الألفاظ عند الأصوليين دراسة بيانية ناقدة د/ محمود توفيق محمد سعد ص٢٨١-٢٨٢ مطبعة الأمانة. ط:أولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: عروس الأفراح للسبكي ٣٥/٢. (ضمن شروح التلخيص). ط: دار السرور- بيروت.

(٣) حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٣٦/٢ (ضمن شروح التلخيص). ط: دار السرور- بيروت.

(٤) ينظر: مختصر السعد، وحاشية الدسوقي عليه ٣٥/٢ (ضمن شروح التلخيص).

الفروق المعنوية بين أدوات الشرط:

إذا كان تقييد المسند بالشرط يكون لاعتبارات وحالات تتعلق بالمقام، فإن هذه الاعتبارات لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدوات الشرط من الفروق المعنوية، ومن التفاوت والتفصيل في الدلالة والاستعمال المبين في علم النحو، فيعتبر في كل مقام ما يناسبه من معاني تلك الأدوات(١).

وأدوات الشرط منها ما هو حرف مثل: "إن" و"لو" ، ومنها ما هو اسم، مثل: "متى" و "أين" ، و "مَن" و "ما"...، ولكل أداة من هذه الأدوات دلالتها ومعناها، الذي يجعل المتكلم يعبر بها في مقام بعينه:

فـ "إن" و"إذا" للشرط في الاستقبال، لكن مع الجزم والقطع في "إذا"، ومع الشك وعدم القطع في "إن". و"لو" للشرط في الماضي. و"مهما، ومتى" لعموم الزمان. و"أين" لعموم المكان. و"مَن" لعموم من يعقل. و "ما" لعموم غير العاقل. فيعتبر في كل مقام ما يناسبه من معاني تلك الأدوات...، فإذا كان المخاطب يعتقد أنك لا تجالسه إلا في المسجد، قلت: أينما تجلس أجلس معك، أو يعتقد أنك لا تكرم إلا من كان من بني فلان، فتقول له نفيا لذلك: من جاءني أكرمته(٢)، وهكذا تتخير لكل مقام ما يناسبه من أداة معبرة عن مقصودك وغرضك.

تفصيل القول في بعض الأدوات عند البلاغيين:

وقد اقتصر حديث البلاغيين على تفصيل القول في ثلاث من هذه الأدوات: "إن" و"إذا" و "لو"؛ وذلك بحجة أنه لا بد من النظر فيها، لما تشتمل عليه من المعاني اللطيفة، والمباحث الشريفة التي لم يتعرض لها في علم النحو(٣).

---

(١) ينظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ٣٥/٢ (ضمن شروح التلخيص).
(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٣٥/٢
(٣) ينظر: شروح التلخيص ٣٨/٢

وهذا لا يعني خلو بقية الأدوات من المعنى اللطيف والموقع الحسن، كيف ذلك وقد ذكروا أن لكل اداة مقامها المناسب لمعناها؟ ولكنهم قصدوا إلى إضافات مفيدة تتعلق بالمعاني والسياقات التي وردت فيها هذه الأدوات، وكان لها وقعها ودلالاتها المعنوية مما لم يتعرض له في علم النحو.

أدوات الشرط التي وردت في أحاديث فضل العلم:

أورد الإمام النووي-رحمه الله- في كتاب العلم، (باب فضل العلم) سبعة عشر حديثا: منها ثمانية أحاديث قام بناؤها اللغوي على أسلوب الشرط بأداتيه: (مَن) في سبعة أحاديث[١]، و(إذا) في حديث واحد[٢]، ومنها ثلاثة أحاديث قامت على أسلوب الخبر[٣]، وحديثان على أسلوب التشبيه[٤]، وحديث واحد لكل من: أسلوب القصر[٥]، وأسلوب الأمر[٦]، وأسلوب القسم[٧]، وأسلوب الخبر المراد به الدعاء[٨].

---

(١) الأحاديث أرقام: ١٣٧٦، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٥، ١٣٨٨، ١٣٩٠، ١٣٩١(رياض الصالحين- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٢) الحديث رقم: ١٣٨٣. .(رياض الصالحين).

(٣) الأحاديث أرقام: ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٩٢. (رياض الصالحين).

(٤) الحديثان رقم: ١٣٧٨، ١٣٨٧. (رياض الصالحين).

(٥) الحديث رقم: ١٣٧٧. (رياض الصالحين).

(٦) الحديث رقم: ١٣٨٠. (رياض الصالحين).

(٧) الحديث رقم: ١٣٧٩. (رياض الصالحين).

(٨) الحديث رقم: ١٣٨٩. (رياض الصالحين).

" مَن " الشرطية :

وقد جاء التعبير بـــ "مَن" الشرطية في بيان النبوة عن فضل العلم؛ بقصد حث عموم الأمة على تعلمه وتعليمه، وهذا يبين لنا سر تكرار هذه الأداة في هذا المقام؛ حيث تنسجم دلالتها ومعناها مع مقصود البيان النبوي في تحريض عموم المسلمين ذكورا وإناثا، شبابا وشيوخا على سلوك دروب العلم.

وقد ذكر أهل العلم أن "مَن" لتعميم أولي العلم مطلقا، وأنها تعـم المـذكر والمؤنث(١).

واتفق الشافعية والحنفية على إفادة "مَن" الشـرطية للعمـوم مـن ذوي العلم(٢)،

واختلفوا في تناول "مَن" الشرطية للذكور والإناث:

- فذهب جمهور الأصوليين من الشافعية والحنفية إلى أن لفظ "مَن" الشـرطية يشمل الذكور والإناث.
- وذهب بعض الحنفية إلى أن "مَن" لا تشمل النساء، بل تعم الذكور فقط.

والراجح أنها تعم الذكور والإناث، يقول الجويني- رحمه الله- :"(مَن) من الألفاظ المبهمة، وهي إحدى صيغ العموم في اقتضاء الاستغراق إذا وقع شـرطا، ويتناول الذكور والإناث، وذهب إلى هذا أهـل التحقيـق مـن أربـاب اللسـان

---

(١) عروس الأفراح للسبكي ٢/٩٠.

(٢) والتعبير بعموم ذوي العلم أولى من التعبير بذوي العقل؛ لأن "مَن" يطلق على الله تعـالى، كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ (الحجر: ٢٠) ، والباري سبحانه يوصف بـالعلم ولا يوصف بالعقل.(نهاية السول شرح منهاج الوصـول فـي علـم الأصـول للأسـنوي (ت٧٧٢هـ) ٢/٦٦ مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر. (د.ت).

والأصول..."[١]. وإنما كانت مبهمة؛ لما فيها من العموم، ولأن المقصود بها غير معين.

والأحاديث التي جرى التعبير فيها بـــ "مَن" الشرطية في هذا السياق، هي:

١/١٣٧٦- عن معاوية - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ" متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

٦/١٣٨١- وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ" رواه مسلم[٣].

٧/١٣٨٢- وعنه أَيضاً - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً". رواه مسلم[٤] .

١٠/١٣٨٥- وعن أنسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ". رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن"[٥] .

---

(١) البرهان في أصول الفقه للجويني (ت٤٧٨هـ) ٣٦٠/١ ت:عبد العظيم الديب .ط: أولى ١٣٩٩هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً، رقم (٧١) (١٥٠/١، ١٥١) . وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، (الحديث: ٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (الحديث: ٣٨) ، مطولاً.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (الحديث: ١٦) .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب: العلم، باب: فضل طلب العلم، (الحديث: ٢٦٤٧) .

١٣/١٣٨٨- وعن أَبي الدرداء - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[١] .

١٥/١٣٩٠- وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: "حديث حسن"[٢] .

١٦/١٣٩١- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ - عز وجل - لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم باب: الحث على طلب العلم (الحديث: ٣٦٤١ و٣٦٤٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، (الحديث: ٣٦٥٨) . وأخرجه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، (الحديث: ٢٦٤٩) .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله تعالى، (الحديث: ٣٦٦٤) .

" إِذَا " الشَّرطية:

ذكر أهل العلم أن "إنْ" و "إذا" للشرط في الاستقبال، يعني أن فعل الشرط فيهما لا بد أن يكون مستقبل المعنى، سواء كان ماضي اللفظ أو مضارعه، ويفترقان في أن الأصل في "إن" أن لا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه، كما تقول لصاحبك: "إن تكرمني أكرمك"، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك، والأصل في "إذا" أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه، كما تقول: "إذا زالت الشمس آتيك"،؛ ولذلك غلب لفظ الماضي مع "إذا" لأن الفعل بعدها مجزوم به فاستعمل فيه ما ينبئ عن تحققه؛ لأن المستقبل إذا قُصد تحققه يؤتى فيه بلفظ الماضي، كقوله تعالى:﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (١).

وغير المقطوع بوقوعه الذي تدخل عليه "إن" يشمل: النادر الوقوع، والمشكوك فيه، أما المقطوع بوقوعه الذي تدخل عليه "إذا" فيشمل المجزوم به، والمظنون الوقوع(٢).

أما حين يُجزم بعدم وقوع الفعل لكونه مستحيلا فلا يستعمل فيه شيء منهما؛ إذ لا معنى للتعليق حينئذ، إلا لنكتة كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾(٣)، والنكتة هنا إرخاء العنان حتى يبكت الخصم بإلزام الحجة ببيان الاستحالة. يقول الزمخشري-رحمه الله- "وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض، وهو المبالغة في نفى الولد والإطناب فيه، وأن لا

---

(١) سورة النحل: ١. وينظر: عروس الأفراح للسبكي ٢/٤٠.

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي ٢/٣٩. وقد ذكر السبكي أن دخول "إذا" على المظنون فيه خلاف. (عروس الأفراح ٢/٤٠).

(٣) سورة الزخرف: ٨١.

يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد"[١].

وسائر أدوات الشرط كـ"إن" في حكمها المذكور[٢] ؛ لأن "إن" هي أم الباب لخلوصها لمعنى الشرط بأصل الوضع، فليس فيها معنى الوقت، ويعقبها الفعل دون الاسم وذلك علامة من علامات الشرط؛ لأن الشرط فعل منتظر في المستقبل هو على خطر الوجود بقصد نفيه أو إثباته...، أما "إذا" فهي غير خالصة للشرطية، بل هي بأصل الوضع للوقت وإن استعملت للشرط فهي لا تخلو عن معنى الوقت وهذا قول نحويي البصرة، وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله. وأهل الكوفة على أن "إذا" تكون للوقت تارة، وللشرط تارة، فيجازى بها مرة إذا أريد بها الشرط ولا يجازى بها مرة إذا أريد بها الوقت، وإذا استعملت للشرط لم يكن فيها معنى الوقت، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله[٣]. والمهم أن الغالب في إذا أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، وقد تخرج عن الظرفية أو الاستقبال أو الشرطية[٤].

وقد جاء التعبير بـ "إذا" الشرطية في "باب فضل العلم" في قول النبي –صلى الله عليه وسلم–:

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ٢٦٦/٤ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

(٢) ينظر حاشية الدسوقي ٣٩/٢.

(٣) ينظر: أصول السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) ٢٣١/١-٢٣٢ .ط: دار المعرفة – بيروت. ودلالة الألفاظ عند الأصوليين د/ محمود توفيق سعد ص٢٩٦.

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب– لابن هشام الأنصاري٨٤/١ وما بعدها. ط: دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي).

٨/١٣٨٣- وعن أَبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". رواه مسلم(١) .

وقد سلك البيان النبوي طريق التعبير بأسلوب الشرط في سياق الحديث عن فضل العلم، وذلك لترسيخ المعاني والمقاصد الآتية:

١- بيان أن العلم فتح من الله قبل أن يكون اكتسابا من الإنسان، وقد جاء ذلك في قوله- صلى الله عليه وسلم- : " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ".

٢- الحث على طلب العلم، وبيان فضل العلماء وجاء ذلك في ثلاثة أحاديث:

ـ قوله- صلى الله عليه وسلم- : "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ".

ـ قوله- صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ".

ـ قوله- صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ".

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (الحديث: ١٤).

٣- الحث على بذل العلم والدعوة إلى الهدى، وذلك قوله- صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا".

٤- بقاء أثر العلم النافع بعد موت صاحبه، وذلك في قوله – صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".

٥- التحذير من كتم العلم، أو طلبه لتحقيق عرض الدنيا، وذلك في حديثين:

ـ قوله – صلى الله عليه وسلم- : "مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" .

ـ وقوله – صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ – عز وجل – لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" يَعْنِي: رِيحَهَا.

وفي اصطفاء أسلوب الشرط ليكون وسيلة التعبير عن هذه المعاني النبوية المباركة، إشارة إلى اهتمام النبي –صلى الله عليه وسلم- بالعلم، وإلى حرصه- صلى الله عليه وسلم- على حث الأمة على سلوك طرق العلم تعلما وتعليما؛ وذلك لما في أسلوب الشرط من سمات في بنائه التركيبي، ودلالته المعنوية:

- في الشرط تعليق حصول مضمون جملة الجواب على حصول جملة الشرط، وهذا التعليق ينم عن الترابط القويّ والتماسك الشديد بين جملتي الشرط والجواب، والذي جعلهما بمثابة جملة واحدة، طرفها الأول جملة الشرط، وطرفها الثاني جملة جواب الشرط، فقولك: "من يكرمني" بمنزلة "زيد"، وقولك: "أكرمه" بمنزلة "منطلق"، في جملة المبتدأ والخبر: زيد منطلق. وهذا ينبئ عن تماسك النص وقوة المعاني.

- في أسلوب الشرط إثبات للمعنى أو الحكم ونفي لمخالفه، وهو ما عبر عنه علماء أصول الفقه بـ "مفهوم المخالفة"، وهو:أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمذكور في الحكم إثباتا أو نفيا(١) ، والتعبير بالإثبات أو النفي ينبئ عن أن المقصود بالمخالف هو النقيض ، وليس الضد، فنقيض "يكرم" : لم يكرم. وضد الكرم: البخل. فالمعنيان مختلفان. فقولك: من يكرمني أكرمه، نصٌّ في إثبات الإكرام لمن يكرمك، ويفهم منه نفي الإكرام عمّن لم يكرمك، وهو المسكوت عنه المخالف للمذكور في الحكم.

فقول النبي- صلى الله عليه وسلم- : " مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" فيه إثبات التفقُّه في الدين لمن أراد الله به خيرا. ويفهم منه أن من لم يتفقه في الدين فقد حرم الخير، أو أن من لم يرد الله به خيرًا لم يفقهه في الدين.

- قوة ارتباط الجزاء بالشرط جعلت العلماء ينزلون هذا الارتباط منزلة ارتباط المسبب بالسبب وجودا وعدما، وهذا يجعل أجزاء الكلام أكثر تماسكا، والمعاني أقوى اتصالا وتلاحما.
- التشوُّق والترقب الذي يوجد في نفس المتلقي عند سماعه جملة الشرط حيث يترقب وتتطلع نفسه إلى معرفة الجواب، فإذا ما تحقق لها ما تصبو إليه وتهفو شعرت بلذة البيان الكاشف للمعنى ، فيرسخ فيها ويستقر في وجدانها.

والبيان بالتشويق مسلك بياني نبوي تربوي، يراعى فيه حال النفس المتلقية ورغبتها الحثيثة في المعرفة بالعبارة بعد الإيماء والإشارة؛ فيحقق لها ما تهفو إليه وتشتاق إلى سماعه.

---

(١) المفهوم: هو دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر في الكلام، ولم ينطق به، وتشمل هذه الدلالة ثبوت حكم المذكور للمسكوت عنه، أو نفي الحكم عنه؛ ولهذا ينقسم المفهوم قسمين: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.(ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٩٤/٣ دار الحديث- القاهرة. والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٧/٤ وما بعدها).

وقد جاء التشويق في البيان النبوي بأساليب متنوعة، منها:

- **التشويق بالاستفهام، كقوله- صلى الله عليه وسلم-:**

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه الترمذي وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»"(١).

- **التشويق بالبيان بعد الإبهام، كقوله-صلى الله عليه وسلم-** :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " متفق عليه(٢).

- **التشويق بالشرط.**

المهم أن التشويق من الأساليب المهمة التي تفضي إلى ترسيخ الفكرة والمعنى، وتحقيق المقصد والغرض؛ ومن هنا اصطفى البيان النبوي التشويق بأسلوب الشرط في سياق الحديث عن فضل العلم تعلُّمًا وتعليمًا؛ ليكشف عن فضله المستمد من كونه فتحا وعطاءً من الله قبل أن يكون اكتسابا من الإنسان، وليُحثَّ ويرغِّب في تحصيله وبذله، وليبيّن بقاء أثره واستمرار نفعه لصاحبه بعد موته، ثم ليحذِّرَ من كتْمه، أو طلبه لتحقيق عرضٍ من الدنيا.

تلك هي مقاصد البيان النبوي في أحاديث "فضل العلم" التي قام بناؤها اللغوي على أسلوب الشرط، والتي سنحللها بمشيئة الله تعالى وفق هذه المقاصد.

---

(١) رواه الترمذي في مسنده- باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص. حديث رقم (٢٤١٨) ٦١٣/٤.

(٢) صحيح البخاري – باب علامة المنافق- حديث رقم (٣٣) ١٦/١. وصحيح مسلم – باب خصال المنافق- حديث رقم (١٠٧) ٧٨/١.

المقصد الأول

بيان أن العلم فتحٌ وعطاءٌ من اللّه تعالى قبل أن يكون اكتسابا

وتلك هي الفضيلة الكبرى للعلم، و القيمة العظمى للتفقه في دين الله تعالى، وقد قرَّرها البيان النبوي في قول النبيّ–صلى الله عليه وسلم– :

١٢٧٦/١– عَنْ مُعاوِيةَ، رضي اللَّه عنْهُ، قَالَ: قَال رسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "مَنْ يُرِد اللَّه بِهِ خيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ" . متفقٌ عليه.

وهذا جزء من الحديث[1] ، اكتفى به الإمام النووي في هذا السياق لمناسبته وتعلقه المباشر بـ "باب فضل العلم".

وقد أفاد بناء الحديث على أسلوب الشرط ثبوت فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه، وأن حصوله متوقف على توفيق الله تعالى وإرادته الخير لمن يُحصّله؛ ومن ثم فقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوه ويطلب منه زيادة العلم، فقال سبحانه: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه:١١٤.

فقوله– صلى الله عليه وسلم– : " مَنْ يُرِد اللَّه بِهِ خيْراً" جملة الشرط، وهي مكونة من: أداة الشرط "مَن"، التي تستعمل في عموم ذوي العقل أو العلم.

---

(١) والحديث كاملا في البخاري، رقم (٧١)

٧١ – حدّثنا سَعِيدُ بنُ عُفَيْرٍ قَالَ: حدّثنا ابنُ وَهْبٍ عنْ يُونُسَ عن ابنِ شِهابٍ قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعاوِيَةَ خَطِيباً يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُولُ: (مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وإنَّمَا أَنا قاسِمٌ وَالله يُعْطِي ولَنْ تَزَالَ هَذِه الأُمَّةُ قائِمَةً عَلَى أَمْرِ الله لاَ يضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفُمْ حَتَّى يأتِي أَمْرُ الله).(عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٨/٢– أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت).

وفعل الشرط "يُرِد" بضم الياء وكسر الراء، من الإرادة وهي عند الجمهور: صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع(١).

والتعبير بصيغة الفعل المضارع يفيد تجدد هذه الإرادة، وتجدد عطاءاتها لكل نفس تتطلع إلى العلم والتفقه في الدين، والمتجدد هو المقدور أما القدر فثابت لا يتغير.

والتعبير بلفظ الجلالة" الله" يوحي بجلال هذه الإرادة وعظمها، وعظم ما تتعلق به.

والجار والمجرور "به" يتعلق بالفعل "يرد" ، والضمير فيه يعود على "مَن" باعتبار لفظه، وإفراد الضمير لتأكيد تعلق الإرادة بكل من يتطلع إلى العلم والتفقه في الدين.

وقوله "خيرًا" مفعول به، أي: منفعة وخيرات كثيرة وعظيمة، فالتنكير فيه يفيد العموم والشمول لجميع الخيرات، والتعظيم والتفخيم لشأن هذا الخير الوفير والمنفعة العظيمة.

وتقديم الجار والمجرور على المفعول به لأهميته والاعتناء به لكونه المقصود الذي تتعلق به الإرادة ، وترتبط به الخيرية، فهو محور الكلام ومقصود الإخبار في الجملة، وهكذا نجد تقديم بعض المتعلقات على بعض يجري على نسق دقيق من مراقبة المعاني ومتابعة الأحوال. ومن الأسس التي بني عليها ترتيب المتعلقات أنهم يقدمون منها ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقه(٢).

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني٢/٤٨.

(٢) ينظر: خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى ص٢٩٣-٢٩٤ مكتبة وهبة. الطبعة الثالثة.

والمتلقي لجملة الشرط حين يستشعر هذه المعاني المستفادة من عطاءات مفردات الجملة وتركيبها، فإنه يتطلع إلى معرفة الجواب، وتتشوق نفسه إلى الوقوف على عطاءات هذه الإرادة العظيمة في الخير والمنافع العظيمة، وحينئذٍ تأتي جملة الجزاء والجواب: " يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ "، أي: يفهمه ويعرّفْه ويبصّره.

والفقه: لغة الفهم، من فقِه يفقَه فِقْها، إذا فهم. ويقال: فقُه بالضم، إذا صار الفقه له سجية، والفِقْهُ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ والفهمُ لَهُ، وغلبَ عَلَى عِلْم الدِّينِ لسِيادَتِه وَشَرَفِهِ وفَضْلِه عَلَى سَائِرِ أَنواع الْعِلْمِ(١).

واصطلاحا: " العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"(٢).

والمعنى اللغوي هو المناسب للسياق؛ لتناوله فهم كل علم من علوم الدين، وهذا العموم ينسجم مع دلالة "مَن" الشرطية، ويتناغى مع ما يفيده التنكير في "خيرًا"، وتؤكده رواية "يُفَقّهْه"(٣) دون ذكر القيد" في الدين"، أي: يفهمه ويبصره ويجعله عالما.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (فقه) ٥٢٣/١٣ – دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

(٢) الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)) ٢٨/١– تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب– دار الكتب العلمية – بيروت– ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م

(٣) يقول الإمام العيني: قَوْله (فِي الدّين) فِي رِوَايَة الْكشميهني وَفِي رِوَايَة غَيره سَاقِط.(عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٨/٢

ـ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)– دار إحياء التراث العربي – بيروت

وبهذا تنسجم وتتكامل دلالة الشرط مع الجزاء في بيان أمرين:

أحدهما- بيان فضيلة العلم، وأنه فتح من الله تعالى قبل أن يكون اكتسابًا؛ وفي هذا إشارة قوية إلى العلاقة الوثيقة بين العلم والإيمان، والتي تثمر خيرا كثيرا بإرادة الله تعالى وتوفيقه.

والآخر- علوّ منزلة العلماء، الذين تفقهوا في الدين بعطاء الله تعالى، وتعلموا بنوره سبحانه الذي ملأ عليهم قلوبهم؛ فالفهم: معرفتك الشيء بالقلب(١).

ويُفهم من الحديث: أن من لم يتفقه في الدين- أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع- فقد حُرم الخير الكثير والعطاء الوفير.

وهذا ما أطلق عليه علماء الأصول "مفهوم المخالفة" ؛ ذلك لأن الشرط هو أحد أساليب مفهوم المخالفة، التي نصوا عليها عند حديثهم عن "المفهوم"(٢).

---

(١) لسان العرب مادة "فهم" ١٢/٤٥٩.

(٢) المفهوم: هو دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر في الكلام، ولم يُنطق به، وتشمل هذه الدلالة ثبوت حكم المذكور للمسكوت عنه، أو نفي الحكم عنه؛ ولهذا ينقسم المفهوم قسمين: مفهوم الموافقة، الذي يثبت فيه حكم المذكور للمسكوت عنه. ومفهوم المخالفة الذي يُنفى فيه هذا الحكم. (ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣/٩٤ دار الحديث- القاهرة. والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (ت ٧٩٤هـ) ٤/٧ وما بعدها)- دار الكتبي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

المقصد الثاني

الحث على طلب العلم، وبيان منزلة العلماء

كان النبي- صلى الله عليه وسلم- شديد الحرص على تعلُّم أمته العلم النافع في الدنيا، المؤدي إلى رضوان الله تعالى ودخول الجنة في الآخرة، ومن ثم فقد حث عموم الأمة المسلمة على طلب العلم ورغبهم في ثواب ذلك، وشوَّقهم إلى هذا الثواب والجزاء العظيم حين حرَّضهم بأسلوب الشرط على سلوك طريق العلم.

وقد جاء ذلك في ثلاثة أحاديث، أوردها الإمام النووي في "باب فضل العلم":

١٣٨١/٦- عنْ أَبي هُريرةَ، رضي اللَّه عَنْهُ، أنَّ رسُول اللَّه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، قالَ: "ومَنْ سلَك طريقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ "رواهُ مسلمٌ.

إذا كان الحديث السابق بيَّن أن العلم فتح من الله تعالى قبل أن يكون اكتسابا، وأن التفقه في الدين يرتبط بمقدور الله تعالى في إرادته الخير بمن يفقه ويبصره في أمور الدين، فإن هذا الحديث يصور اكتساب العلم كيف يكون؟ ويبرز مكافأة طالب العلم من الكريم سبحانه، وأنه عز وجل يسهّل بسلوك طريق إلى العلم طريقا إلى جنته ورضوانه؛ وذلك لأن العلم النافع يقود إلى صحة الإيمان وحسن العمل المفضيان إلى جنات الله تعالى، كما قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) الكهف:١٠٧.

قوله- صلى الله عليه وسلم-: " ومَنْ سلَك طريقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً" معطوف على كلام سابق؛ مما ينبئ أنه جزء من حديث طويل[١] أخذ منه الإمام النووي رحمه الله- ما يتعلق بترجمته لـ"باب فضل العلم".

وهذه جملة الشرط والمكونة من: أداة الشرط "مَن" المقصود بها عموم من يعقل، وفعل الشرط "سلك"، أي: دخل أو مشى. مأخوذ من السلوك: وهو مصدر سلك طريقا يسلكه سلْكا وسلوكا، أي : دخل أو مشى فيه[٢]، وهو فعل يقتضي حركة بدنية أو ذهنية.

والتعبير بصيغة الماضي "سلك" مع أن معناه المستقبل؛ لإفادة تحقق وقوع المشي والحركة حسية أو معنوية، وسلوك أي طريق أو سبب يؤدي إلى تحصيل العلم.

وتنكير "طريقا" لإفادة التعميم، أي قريبا أو بعيدا، سهلا أو صعبا، حسيا أو معنويا.

---

(١) أورد الحديث كاملا الإمام مسلم " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» . أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (الحديث: ٣٨)

(٢) لسان العرب مادة "سلك" ٤٤٢/١٠.

وسلوك الطريق لالتماس العلم يعم الطرق الحسية والمعنوية فيدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، سواء كان قريبا أو بعيدا، كما يدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى تحصيل العلم، مثل: حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهُّم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم(١).

قوله- صلى الله عليه وسلم- :" يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً " أي: يطلبه، استعار اللمس للطلب؛ لتأكيد مباشرة الطلب ومعايشته، وملامسته حسًّا ومعنى، وهو من الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

والتعبير بصيغة المضارع لإفادة تجدد حدوث الطلب بقصد الاستزادة من العلم، وتحصيل كل جديد فيه بمواصلة طلبه. وقد أمر الله نبيه وأمته من بعده بطلب الزيادة في العلم، وذلك في قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) طه:١١٤.

وتأمل اصطفاء التعبير بـ "في" الظرفية (فيه)، والتي تشير إلى قوة تلبس طلب العلم بطرقه ووسائله، وشدة ارتباطه بهذه الطرق المتنوعة، والتي يفضي سلوكها وطَرْقها إلى تحصيل العلم النافع.

وتنكير "علما" لإفادة العموم مع التعظيم والتفخيم، والمعنى: يطلب فيه أي علم نافع من شأنه تزكية النفوس وتنوير العقول، وصلاح الأعمال المؤدي إلى رضوان الله تعالى ودخول جنته، وعلمٌ هذه شأنه، وتلك فوائده هو علمٌ عظيم يعلي قدر الإنسان عند ربه، كما قال سبحانه: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) المجادلة: ١١.

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٢٩٦/٢ (المتوفى: ٧٩٥هـ)- تحقيق/ شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس- مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

هكذا جاءت جملة الشرط مرغبة في استمرار طلب العلم النافع بشتى الوسائل والطرق الحسية والمعنوية، داعية إلى الارتحال وبذل الجهد في ذلك، ومشوّقة إلى جزاء تحصيله وعقبى سلوك دروبه وطرقه المتنوعة.

وتأتي جملة الجواب: " سهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ" لتقرر تيسير الله تعالى وإعانته لمن سلك طريقا للعلم، ولتكشف عن مآل تحصيل العلم، وأنه طريق يفضي إلى الجنة.

والتعبير بصيغة الماضي" سهّل" ومعناه الاستقبال لوقوعه جوابا للشرط، يفيد تحقق وقوع تيسير الله تعالى وإعانته لطالب العلم بمجرد سلوكه طريقا للعلم.

وهو مأخوذ من التسهيل، بمعنى: التيسير، سهَّله: أي صيّره سهلا ميسرا. وفي الدعاء: سهَّل الله عليك الأمر، أي: حمل مؤنته عنك وخفَّف عليك(١).

فعلى المرء أن يسعى جاهدا في طلب العلم؛ ليحظى بعون الله تعالى وتيسيره، ولينال نعيم جنته، حيث يذلّل له الطريق المفضي إليها بسبب سلوكه طريق العلم، والعلم طريق موصول إلى الجنة.

وتكمن قيمة أسلوب الشرط هنا في إبراز مدى الترابط القوي بين تسهيل الله تعالى وتيسيره طريق الجنة، وبين سلوك طالب العلم طريقا يطلب فيه علما، وأن حصول الأول متوقف على حصول الثاني، وتعلقه به تعلق المسبب بسببه، وفي ذلك حث وتشجيع وتحفيز من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لأمته على طلب العلم وسلوك دروبه وطرقه، حتى ييسر الله تعالى لطالب العلم طريقه ويحمل عنه أعباءه ويذلّل له الصعاب.

---

(١) لسان العرب مادة "سهل" ٣٤٩/١١.

وقد جاء هذا المعنى في حديث أبي الدرداء-رضي الله عنه-:

١٣/١٣٨٨- عَنْ أَبي الدَّرْداءِ، رضي اللَّه عَنْهُ، قَال: سمِعْتُ رَسُول اللَّـهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم، يقولُ: "منْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ علْماً سهَّل اللَّه لَه طَرِيقاً إِلَى الجنةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضاً بِما يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعالِم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ الْعَالِم عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِب، وإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ وإِنَّ الأَنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَماً وإِنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ، فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ". رواهُ أَبُو داود والترمذيُّ[١].

ولنتأمل تعبيره- صلى الله عليه وسلم- عن طلب العلم مرة بالفعل "يلتمس"، وأخرى بالفعل "يبتغي"، وذلك ليجمع في سلوك طريق العلم بين مطلق الطلب، وبين الطلب باجتهاد وإصرار، فيجعل جزاء كليهما التسهيل والتيسير من الله تعالى المؤدي إلى الجنة.

فقوله- صلى الله عليه وسلم- : "يلتمس" أي: يطلب، والمقصود مطلق الطلب. وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "يبتغي" من الابتغاء: وهو الاجتهاد في الطلب[٢]، والبغي: المطر الكثير، وبغت السماء: اشتد مطرها[٣]، وبغي الشيءَ بغْيا: نظر إليه كيف هو، ورقبه وانتظره[٤].

فالتعبير بالابتغاء لإفادة الاجتهاد والإمعان في الطلب، والمتابعة المستمرة المتواصلة في إصرار على تحصيل العلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم باب: الحث على طلب العلم (الحديث: ٣٦٤١ و٣٦٤٢). والترمذي ، رقم: (٢٦٨٣).
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٦.
(٣) لسان العرب مادة "بغى" ١٤/٧٩.
(٤) القاموس المحيط للفيروز ابادي مادة" بغى" ١/٢٦٣.

قوله- صلى الله عليه وسلم- " وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالب الْعِلْمِ رِضاً بِما يَصْنَعُ" تأكيد لتيسير الله تعالى وإعانته لطالب العلم، والغرض منه: تقوية الحث والترغيب في سلوك طريق العلم، وبيان أن من تيسير الله تعالى ومعونته أن يرسل ملائكته لمن يسلك طريق العلم، فتضع أجنحتها لطالب العلم حتى تحفظه وترتقي به وتأنس بصحبته؛ وذلك من أجل رضاها بصنيعه في سعيه الدؤوب لطلب العلم.

وهذا سرّ عطفه بالواو على الكلام السابق؛ لأنه منه ينطلق، ومن معناه ينسلّ، فهو شديد الارتباط به.

والتعبير بوضع الأجنحة يمكن أن يكون حقيقة، والمعنى: أنها تكفّ أجنحتها عن الطيران، وتنزل لسماع العلم؛ إذ هو أشرف الذكر(١).

ويمكن أن يكون كناية عن التواضع أو المعونة وتيسير طلب العلم، حيث عبر بخفض الأجنحة وأراد لازمه من التواضع أو المعونة والتيسير.

والتأويل الثاني أقرب وأشمل؛ لما فيه من إمكانية الجمع بين أصل المعنى (خفض الأجنحة) ولازم معناه، وهو التواضع أو المعونة، كما هو معهود في الكناية، فقولنا: "فلان طويل النجاد" كناية عن طول القامة، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد(٢) قوله- صلى الله عليه وسلم-: " رِضاً بِما يَصْنَعُ" مفعول لأجله،

---

(١) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) ١٨٠/٧ ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

(٢) ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني ص٣٣٠ دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولى١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

أي لأجل الرضا الحاصل منها بسبب مايقوم به من تحصيل العلم ومدارسته، والاجتهاد فيه.

والتعبير بـ "ما" الموصولة يفيد التعظيم والتفخيم من شأن ما يقوم به طالب العلم.

ثم ينتقل البيان النبوي من الإخبار عن تواضع الملائكة ومعونتها لطالب العلم، بسبب رضاها بما يصنعه في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، إلى الإخبار عن استغفار من في السماوات ومن في الأرض للعالم: " وَإِنَّ الْعالِمِ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ منْ في السَّمَواتِ ومنْ فِي الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ" وهو معطوف على سابقه لإفادة الترقّي في التكريم والرضا، والانتقال من مرحلة طلب العلم والتعلم إلى مرحلة رسوخ العلم وثباته، كما ينبئ بذلك التعبير بصيغة اسم الفاعل" العالِم"، أي: من صار العلم له سجية ووصفا مميزا، ورسخت قدمه فيه، "فهذا ترقّ إلى ذكر ما هو أبلغ في فضله بإثبات وصف العلم له بعد إثبات فضل طلبه فيما قبله"(١).

وقد أثبت- صلى الله عليه وسلم- الاستغفار للعالِم ، ووضع الأجنحة لطالب العلم المجتهد في طلبه؛ وذلك لما فيه من التناسب المعنوي، فوضع الأجنحة لطالب العلم فيه حفظ ومعونة ورضا بما يقوم به من مثابرة في تحصيل العلم، أما استغفار عموم المخلوقات للعلماء طالبين تخليهم عما لا يليق بمقامهم من الأدناس؛ فسببه شمول بركة علم العلماء وعملهم لجميع المخلوقات والموجودات(٢).

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين٧/١٨٠.
(٢) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين١/١٨١.

والتعبير بـــ "مَن" الموصولة لإفادة عموم الاستغفار من كل المخلوقـــات في السماوات والأرض، وفيه تغليب[١] جانب العقلاء؛ لانسجام الاستغفار ومناسبته لهم، ولا مانع من حمل الاستغفار من غير العقلاء كالجمادات، على حقيقته؛ لأنـــه ممكن، فهو من قبيل قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِـــنْ لَـــا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) الاسراء: ٤٤.

والتعبير بقوله–صلى الله عليه وسلم–: " حتَّى الحِيتانُ في الماءِ" لإفـــادة المبالغة في التعميم وشمول الاستغفار لجميع المخلوقات البحرية والبرية.

وبعد أن قرر– صلى الله عليه وسلم– فضيلة العلم، واحتفاء المخلوقـــات بالعالِم ، انتقل إلى بيان فضل العالِم على العابِد فقال–صلى الله عليه وسلم– معبرا بأسلوب التشبيه عن علو منزلة العالِم :

" وفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمر عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ" شبه أفضلية العالِم على العابِد بأفضلية القمر على سائر الكواكب.

ووجه الشبه: علو المنزلة، وشيوع الفائدة وعمومهـــا، فعبـــادة العابِـــد لنفسه ونور العبادة وكمالها ملازمٌ له لا يتخطاه إلى غيره، فهو كنور الكواكـــب، أما علم العالِم فلنفسه ولغيره؛ لأن نور العلم وكماله يتعداه إلى غيره فيستضـــيء به ويهتدي، كما يستضاء ليلا بنور القمر ويُهتدى به. فالعلم يبدد ظلمات الجهـــل عند من يصل إليه، والقمر يبدّد ظلام الليل وينير الطريق لمن يســـير لـــيلا، أمـــا النجوم فضوؤها ذاتي لا يتعداها، ولا يُستضاء به، كذا العابد عبادته لنفسه.

---

(١) التغليب: حقيقته إعطاء الشيء حكم غيره ، أو إطلاق لفظة عليهمـــا؛ إجـــراءً للمختلفـــيْن مجرى المتفقَيْن. " البرهان في علوم القرآن للزركشي٣/٣٠٢ تحقيق محمـــد أبـــو الفضـــل إبراهيم. المكتبة العصرية– بيروت.

والتعبير بالقمر أوقع وأنسب لنور العلم المبدّد لظلمة الجهل، ويمكن أن يجتمع نور العلم مع نور العبادة كما تجتمع القمر مع الكواكب ليلا، أما الشمس فإنها إذا ظهرت حجبت غيرها من الكواكب عن الظهور وغطت عليها وهيمنت؛ ولذلك قال النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر ووصفه بالسطوة والغلبة:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كواكبٌ ∴ إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

يعني أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب، فإذا ذُكِر ونُشِرتْ مآثره لم يُذكر غيرُه معه؛ كما أن الشمس إذا طلَعتْ لم يُرَ معها كوكب(١).

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: " وإنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنْبِياءِ " بيانٌ مؤكد لفضل العلماء وعلى منزلتهم، المستمدة من صلتهم القوية بالأنبياء المبعوثين من عند الله تعالى لتعليم خلقه وتوجيههم إلى عبادة ربهم، وإرشادهم إلى ما ينفعهم. والجمع بين التوكيد بـ "إن" وإسمية الجملة إبلاغ في تأكيد وتقوية الصلة بين العلماء والأنبياء.

وقد صور البيان النبويّ هذه الصلة القوية بصلة الإرث التي تقتضي موروثا، وهذا الكلام قائم على تشبيه صلة العلماء بالأنبياء بصلة الوارث بالمورِّث في استحقاق الإرث، والمعهود في الإرث أن يكون مالا، وهذا غير مقصود في الحديث.

ولما كان الكلام يوهِم خلاف المقصود؛ مما يجعل الذهن ينصرف إلى إرث المال، فقد جاء قوله- صلى الله عليه وسلم-: " وإنَّ الأنْبِياءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَاراً

(١) ينظر: ديوان النابغة الذبياني ص٧٤. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة- دار المعارف- مصر.

وَلا دِرْهَماً وإنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ" على سبيل الاحتراس أو التكميل(١)، حتى يتضح المعنى المراد ولا يُتوهَّم خلاف المقصود، فإرث الأنبياء هو العلم وليس الدينار والدرهم.

وفي هذا تأكيد على زهد الأنبياء في المال، وإعلاء لشأن العلم؛ ولذلك حرص- صلى الله عليه وسلم- على تأكيد نفي أن يورّث الأنبياء دينارا أو درهما؛ وذلك حتى يقتدي بهم العلماء في ذلك فيُمسكوا بالعلم، ولا يتكالبوا على جمع المال فينشغلوا عن العلم؛ ولذلك جاء التعبير الحاسم بصيغة الحصر " وإنَّما ورَّثُوا الْعِلْمَ " فأثبت بطريق القصر بـ "إنما" توريث العلم ونفي توريث الدينار والدرهم، بعد أن صرح به في الجملة السابقة، وبذا يكون قد نفى توريث المال مرتين، إحداهما بالنفي الصريح، والأخرى بالنفي المستفاد من جملة القصر بـ "إنما" ، وهذا يؤكد حرص النبي-صلى الله عليه وسلم- على تنقية النفوس من حب المال والانشغال به عن طلب العلم.

وقد نبه- صلى الله عليه وسلم- في نهاية الحديث - على سبيل التذييل(٢)- على وفرة حظ من انشغل بالعلم عن جمع المال، فقال-صلى الله عليه وسلم- مرتبا ومعقبا على ما سبق: " فَمنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحظٍّ وَافِرٍ" فالفاء فيه تفيد التفريع والسببية، أي: يتفرع ويتسبب على ما سبق بيانه من فضائل العلم لكونه إرث الأنبياء، أنه من أخذه وحصّله فقد أخذ بنصيبٍ وافرٍ لانهاية له، وهذا تأكيد لفضيلة العلم.

---

(١) التكميل أو الاحتراس: هو أن يؤتى به في كلام يوهِم خلافَ المقصود بما يدفعه. " الإيضاح للخطيب القزويني ص٢٠٣".

(٢) التذييل هو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد." الإيضاح للخطيب القزويني ص٢٠٠".

و "مَن" موصولة مضمنة معنى الشرط، والفعل لفظه ماضٍ ومعناه الاستقبال، أي: من يسعى في تحصيل العلم وأخذه فقد حصل على نصيب وافر من الفضل والشرف لا نهاية له.

والأخذ: حوْز الشيء وتحصيله[١]. والتعبير به يبرز حال العالم في حوزه العلم وإحاطته به، ويصور كيفية تحصيله له حتى ترسخ قدمه فيه.

والحظ : النصيب المُقدَّر[٢]، قال تعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) النساء:١١

والمقصود: أن من سعى بجد في تحصيل العلم وأخذه فقد حظي بنصيبه المقدَّر عند الله تعالى من العلم الغزير.

ونلحظ هنا ربط التحصيل والأخذ للعلم بمقادير الله تعالى، التي تجري في العباد على قدر جِدّهم واجتهادهم في تحصيل الأشياء، وفي هذا تأكيد على حقيقة ربط اكتساب العلم من العبد بإرادة الله تعالى ومقاديره وتوفيقه؛ مما يستوجب على طالب العلم أن يقوّي صلته بالله تعالى، وأن يوقن أن تحصيل العلم ليس بالذكاء والاكتساب وحدهما، بل لا بدَّ أن يسبق ذلك توفيق الله تعالى وإرادته ومشيئته سبحانه.

فاستحضار معية الله تعالى مطلب من العبد في كل شئونه وأعماله، وبخاصة عند طلب العلم، فطالب العلم حين يخرج من بيته في طلب العلم يكون في سبيل الله تعالى حتى يعود إلى بيته، وهذا ما أكده وبينه قول النبي–صلى الله عليه وسلم–:

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٢.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٣.

١٠/١٣٨٥- عن أنسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ". رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن"(١) .

فهذا بيان من النبي -صلى الله عليه وسلم- لقيمة وفضيلة طلب العلم بالرحلة والخروج إلى أماكن تحصيل العلم.

والحديث الشريف-كما نرى- قائم في بنيته اللغوية على أسلوب الشرط، بأداته "مَن"؛ ليعمّ كلَّ من خرج من محله في طلب العلم من أماكنه ورجاله.

وفعل الشرط "خرج" لفظه ماضٍ ومعناه المستقبل، من قولهم: خَرَجَ خُرُوجًا، أي: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره دارًا، أو بلدًا، أو ثوبًا، وسواء كان حاله حالةً في نفسِه أو في أسبابه الخارجة(٢).

فالمقصود من التعبير بفعل الخروج تصوير حركة طالب العلم الحسية في بروزه من مقره، والمعنوية في تخليه عن كل ما يعيق تحصيله للعلم، من النوازع النفسية والملابسات الخارجية، فينبغي على طالب العلم أن يخرج متخليا عن كل ذلك؛ ليحلّ في أماكن العلم صافي الذهن والعقل، فهذا أدعى للتحصيل بعد توفيق الله تعالى.

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: "في طَلَبِ العِلْمِ "، أي: لأجل طلب العلم، فحرف الجر "في" بمعنى اللام، وإنما عبر به هنا ليفيد شدة تعلقه وقوة رغبته في طلب العلم حين يخرج، فخروجه متلبس بطلب العلم تلبس الظرف بالمظروف.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: العلم، باب: فضل طلب العلم، (الحديث: ٢٦٤٧) .
(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٤٥.

وإضافة "طلب" للعلم تفيد التخصيص، أي: في طلب العلم خاصة. و "أل" في "العلم" استغراقية تفيد عموم العلم واستغراق جميع أنواعه، وتوحي بعظم منزلته وعلو شأنه.

واقتران جواب الشرط بالفاء " فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ" لوقوعه جملة اسمية، والمقصود من التعبير بالجملة الاسمية: تأكيد الوعد بتحقق الجواب عند حصول شرطه.

وإفراد الضمير "هو" مراعى فيه لفظ "مَن"، أو أنه يعود إلى فاعل "خرج" بقصد تمييزه وبيان استحقاقه الثواب العظيم من الله تعالى.

قوله-صلى الله عليه وسلم-: " في سَبيلِ اللهِ " يجوز أن يكون المراد منه: في طاعة الله، والمقصود: إثبات أن طلب العلم من طاعة الله تعالى، وفي التعبير إشارة إلى انغماسه في الطاعة وتلبسه بها تلبس الظرف بالمظروف حتى يرجع إلى محله، كما يشعر بذلك التعبير بـ "في" الظرفية. ويجوز أن يكون المقصود منه: تشبيه طلب العلم بالجهاد في سبيل الله. ووجه الشبه: إحياء الدين، وإذلال الشيطان، وإتعاب النفس وكسر الهوى واللذة في كل(١).

ويمكن الجمع بين التأويلين بأن الطاعة تعم الجهاد في سبيل الله ؛ فهو قمة الانقياد والطاعة لله تعالى.

ولما كان الخروج في طلب العلم فيه بذل للمال والنفس ومجاهدة وترك للوطن والأهل، وإعلاء لدين الله تعالى، ومن ثَم أشبه الجهاد في سبيل الله، وبذا يجمع الخروج في طلب العلم بين طاعة الله تعالى والجهاد في سبيل إعلاء دينه سبحانه.

وهذا يدلُّ على أن طلب العلم ثغر من ثغور الإسلام يستوجب المرابطة والمصابرة.

---

(١) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٧٨/٧.

المقصد الثالث

تأكيد بقاء ثواب العلم بعد موت صاحبه

يتوقف عمل الإنسان وينقطع بموته؛ فيتوقف بذلك الثواب المترتب عليه ترتب المسبب على سببه، إلا أن هناك بعض الأعمال التي يدوم أثرها ويبقى نفعها، ويستمر ثوابها للإنسان بعد موته، منها: العلم النافع.، وقد نبه النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى ذلك وأكده في قوله:

٨/١٣٨٣- عن أَبي هُريرةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". رواه مسلم(١) .

فقوله- صلى الله عليه وسلم-: ""إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ" خبر يفيد توقف الثواب لتوقف العمل وانقطاعه. والمقصود به: الحث على الاستكثار من الأعمال الصالحة التي تبقى للإنسان بعد موته قبل أن يفجأ الموتُ الإنسانَ فيتوقف العمل، والمتلقي يعلم مضمون الخبر ولهذا جاء الخبر خاليا من المؤكدات؛ لكونه من اليقين الذي لا يتطرق إليه الشك.

وقد ارتكز البناء اللغوي لهذا الخبر على أسلوب الشرط بأداته "إذا" التي تستعمل في الأمر المقطوع بوقوعه في الاستقبال، وفعل الشرط "مات" متحقق مقطوع بوقوعه، وهو وإن جاء بلفظ الماضي إلا أن معناه الاستقبال.

وإنما جرى التعبير بصيغة الماضي لإفادة تحقق وقوعه، بقصد الإبلاغ في الموعظة والحث على المسارعة في الخيرات والعمل الصالح، قبل نزول الموت المحقق.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (الحديث: ١٤).

والتعبير بـــ "ابن آدم" بدلا من الإنسان؛ للتذكير بالأصل بقصد الإبلاغ في الموعظة والاعتبار.

وجواب الشرط جملة: انْقَطَعَ عَمَلُهُ " وهي مترتبة على جملة الشرط ترتب المسبب على السبب، وإذا كان الشرط سببا وقيدا في حصول الجواب فإن الجواب هو المقصود الذي تتم به الفائدة، ويتحقق الغرض.

وانقطاع العمل بالموت وتوقفه أمر معلوم، ومن ثَمّ توجــه القصــد إلــى الثواب، كما يُفهم من سياق الحديث، فيكون في الكلام مضاف محذوف للعلم بــه من سياق الكلام والمعنى: انقطع وتوقف ثواب عمله المرتبط به ارتباط المســبب بالسبب، وفق حكمة الله تعالى في الثواب.

والمقصود به: جنس العمل الصالح؛ بدليل الأعمال الثلاثة التي اســتثناها من الانقطاع في قوله-صلى الله عليه وسلم-: " إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ"، أي: ثلاث خصال، وروي "ثلاثة"[1] بإثبات التاء في العدد على اعتبار أن المعدود المحذوف مــذكر: أي ثلاثة أعمال، وهذا أقرب وأنسب بالسياق؛ لتقدُّم التصريح بالعمل في جــواب الشرط" انقطع عملُه" وهو المستثنى منه.

وفي قوله- صلى الله عليه وسلم-: " ثَــلاثٍ" إجمــال وإبهــام، فصــله ووضحه بما ذكر بعده: " صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"، ويطلق البلاغيون على صورة الإيضاح بعد الإبهام هذه اسم "التوشيع" ، وهو في اللغة: لف القطن المندوف. وفي اصطلاح البلاغيين: أن يؤتى في عجز الكــلام أو

(١) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٧٧/١.

في أو له أو في وسطه بمثنى أو بمجموع مفسرٍ باسمين أو بأسماء ثاني الاسمين في المثنى معطوف على الأول، والزائد على الأول في الجمع معطوف عليه(١).

ويؤتى بالإيضاح بعد الإبهام في الكلام لتحقيق عدة أغراض، منها:

١- تمكن المعنى في نفوس المخاطبين فضل تمكن.

٢- إبراز المعنى في صورتين مختلفتين، إحداهما مبهمة، والأخرى موضِّحة مفصِّلة، وبذا يقع العلم بالمعنى مرتين، وقد قالوا: "علمان خير من علمٍ واحد"(٢).

٣- كمال لذة العلم بالمعنى بعد الترقب والتشوق الذي أحدثه المبهم.

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: " صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ " بالجر بدل من "ثلاث"، أي: مستمرة دائمة النفع والفائدة، وهذا يتحقق جليا في الوقف الخيري بجميع أشكاله وأنواعه.

فالتنكير في "صدقة" لإفادة العموم في عمل الخير بجميع أنواعه، وهو أيضًا يفيد التعظيم والتفخيم من شأن هذه الصدقة التي يجري خيرها بين الناس ويبقى ثوابها متجددا لصاحبها بعد موته.

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: " أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ " معطوف على ما قبله بـ "أو" المفيدة للتنويع، وتنكير "علم" للتعظيم والتفخيم، أي: علم عظيم يتحقق به النفع المتجدد للناس بعد موت صاحبه. والمراد به: التعليم، أي تعليم الناس العلم

---

(١) قصر الخطيب القزويني "التوشيع" على المثنى في عجز الكلام، وعلق اليعقوبي على ذلك بقوله: "ينبغي أن يزاد في أوله أو في وسطه؛ لأن التخصيص بعجز الكلام اصطلاح لم يظهر له وجه، لأن الإيضاح بع الإبهام حاصل بما ذكر أولا أو وسطا وآخرا ، في المثنى أو المجموع". (ينظر: الإيضاح للخطيب، ومواهب الفتاح ٣١٦/٣ ضمن شروح التلخيص. ط: دار السرور)

(٢) المطول لسعد الدين التفتازاني ص٢٩١ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

النافع، أو التصنيف، أي الكتب المصنفة في العلم النافع ينتفع بها الناس، قال تاج الدين السبكي: والثاني أقوي؛ لطول بقائه على مرّ الزمان(١).

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: " أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" أي: ولد رباه على الصلاح والتقوى، سواء كان ذكرا أو أنثى، فهو يدعو لأبيه بالمغفرة والرحمة، ويجدد الدعاء باستمرار، كما يشعر بذلك التعبير بصيغة المضارع "يدعو".

وتأمل معي دقة التقييد بالصفات الكاشفة عن المقصود في كلٍ:

فتقييد الصدقة ووصفها بكونها "جارية" فيه إشارة إلى بقائها واستمرارها، وتجدد ثوابها.

ووصف العلم بكونه ينتفع به يشير إلى قيمته وفائدته المتجددة.

ووصف الولد بكونه صالحا فيه إيماء لأثر تربية أبيه له على الصلاح والتقوى.

وقوله- صلى الله عليه وسلم- " يَدْعُو لَهُ" صفة ثانية للولد شديدة الارتباط بالصفة الأولى لكونها نابعة منها، وهكذا جاء تفصيل الأنواع الثلاثة، وجرى ذكرها بصيغة النكرة الموصوفة؛ لإفادة التعميم والتعظيم، وكانت الأوصاف كاشفة عن سر عظمتها، وبقاء ثوابها لابن آدم بعد موته.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٧٧/٧.

المقصد الرابع

الحث على بذل العلم والدعوة إلى الهدى

من مقاصد تعلم العلم الانتفاع به وبذله إلى الغير؛ ليتحقق الهدى والصلاح للفرد والمجتمع، وقد حث النبي- صلى الله عليه وسلم- على بذل العلم والدعوة إلى تعلمه، والاهتداء بهداه ، وذلك في قوله-صلى الله عليه وسلم-:

٧/١٣٨٢- عن أبي هريرة – رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً". رواه مسلم(١) .

والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده(٢) وتبيينه للناس.

والهدى أو الهداية: دلالة بلطفٍ(٣)، والدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد(٤). والمراد به هنا: العلم النافع، أو العمل الصالح.

يقول ابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ) :" هذا الحديث أبلغ شيء في فضل تعليم العلم اليوم والدعاء إليه وإلى جميع سبل الخير والبر"(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (الحديث: ١٦) .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٧٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن ٥٣٩.

(٤) شرح مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) – شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) باب الاعتصام بالكتاب والسنة ٦٢٥/٢.- تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ٢٣٦/٢٤ تحقيق: مصطفى أحمد العلوي- طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- المغرب ١٣٨٧هـ.

ففي هذا الحديث الشريف ترغيب في بذل العلم للناس وحثٌّ على تعليمه والدعاء إليه، وإلى جميع سبل الخير والبر.

وصياغة الحديث وبناؤه على أسلوب الشرط بأداته "مَن" التي تدل على عموم من يعقل أو يعلم، فيه حثٌّ وترغيب عظيم في تعليم الناس العلم والخير، وتشويق إلى معرفة الأجر والمثوبة من الله تعالى على ذلك.

وفعل الشرط "دعا" لفظه ماضٍ ومعناه الاستقبال؛ لأن الحث والتحريض يكون على فعل لم يقع بعد، وهو من قولهم: دعا إلى الشيء، أي: حث على قصده وبينه.

والمفعول به محذوف لإفادة العموم، أي: دعا عموم الناس، وفي هذا إشارة إلى أن تعليم العلم، والدعوة إلى البر والخير ينبغي أن تعم الناس جميعا.

وهذا التعميم في الداعي والمدعو يقصد منه شمول العلم والهدى في الأمة كلها، أما مقدار الإفادة منهما فهذا عطاء الله تعالى.

قوله- صلى الله عليه وسلم-: " إِلَى هُدىً " متعلق بـ "دعا"، أي: من حثَّ إلى قصد الهدى وبينه، والمراد به هنا: العلم النافع، والعمل الصالح، فكل من علَّم الناس علما أو دعاهم إلى عمل صالح هو داع إلى الهدى.

وتنكير "هدى" لإفادة العموم والشيوع، فيشمل كل ما يُهتدى به من علم وعمل، بمعنى أنه شائع في جنس ما يقال له هدى، فيطلق على القليل والكثير(١).

وإطلاق الهدى على العلم؛ لأن العلم سبب في حصول الهداية، ودليل عليها، فهو من باب إطلاق المسبب على السبب على سبيل المجاز المرسل، وفيه تأكيد على أن غاية العلم النافع وبغيته تحقيق الهداية للناس.

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٢٣٦/٢٤.

والمتلقي لجملة الشرط " من دعا إلى هدى" يترقب وتتشوق نفسه إلى الجواب؛ ليتعرف على الجزاء والثواب المنتظر لمن يدعو غيره إلى العلم والخير والبر، فيأتي الجواب محفّزا ومرغِّبا في القيام بفعل الشرط: " كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ " أي: يأخذ أجرًا مماثلا لأجور كلّ من تبعه وانتفع بدعوته وعلمه.

والتعبير بفعل الكينونة "كان" بصيغة الماضي لتأكيد تحقق وقوعه بمجرد حصول شرطه.

وأجر الداعي بسبب دعوته، أما أجر المدعو المتبِع فبسبب عمله، فاختلفت وجهتي الإثابة؛ ولهذا استأنف صلى الله عليه وسلم قائلا: " لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً" ، فهذه جملة مستأنفة على سبيل الاحتراس أو التكميل لدفع توهم خلاف المقصود، وذلك بتحقيق وتأكيد أمرين:

أحدهما- دفع توهم أن يكون أجر الداعي والمعلم بالتنقيص من أجر المدعو والمتعلم ، وذلك لاختلاف جهتي الإثابة.

والآخر- بيان عظيم فضل الله تعالى، وكمال كرمه على عباده.

وتنكير "شيئًا" لإفادة تأكيد عموم نفي النقص لأي شيء من أجورهم، قل أو كثر.

ويفهم من الحديث: أن من كان عنده علم فلم يبذله أو يدعو إلى هدًى، فقد حُرم هذا الأجر العظيم.

وقد أورد الإمام النووي باقي هذا الحديث في " باب في الدلالة على الخير" :

١٥٨ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

أي: ومن أرشد غيره إلى فعل إثم وإن قلّ، أو أمره به أو أعانه عليه، كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه وامتثل أمره فيها، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا.

وهذا تصريح بالمعنى المقابل لمعنى الشطر الأول من الحديث، كاشف عن الضدية بينهما في الفعل والجزاء.

والمقصود: الحث والترغيب في فعل الطاعة والدعوة إلى العلم والهدى والخير، والتحذير والتخويف من فعل المعصية والدعوة إلى الجهل والضلالة والإثم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب: العلم، باب: من سنَّ سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (الحديث: ١٦) .

المقصد الخامس

التحذير من كتْم العلم أو طلبه لتحقيق عَرَضٍ من الدنيا

في الأحاديث السابقة بيَّن النبي-صلى الله عليه وسلم- بأسلوب الشرط فضلَ العلم والعلماء، وحثَّ على تعلُّمه وتعليمه ابتغاء وجه الله تعالى، وأكَّد أن العلم فتح من الله سبحانه قبل أن يكون اكتسابا، ولكي تكتمل الفائدة ويتحقق المقصود في تجلية الفكرة وتبيانها من جميع جوانبها حرص-صلى الله عليه وسلم- على تأكيد التحذير من خطورة كتمان العلم عند السؤال، أو تعلُّمه لتحقيق عرَضٍ من أعراض الدنيا ومتاعها.

يقول- صلى الله عليه وسلم- محذّرًا من كتمان العلم عند السؤال والحاجة إليه من السائل:

١٥/١٣٩٠- عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" رواه أَبُو داود ، والترمذي، وقال: "حديث حسن"(١) .

في هذا الحديث تهديد شديد ووعيد عظيم على كتم العلم، بأن من سُئل عن علمٍ ضروري فكتمه، وستره في فِيه وسكت ولم يبينه للسائل، فإنه يُلجَم يوم القيامة بلجام من نار، حتى يكون الجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما أمسك لسانه ومنعه من إجابة السائل ناسب أن يُعاقب يوم القيامة بلَجْمٍ فِيهِ.

وهذا من باب مراعاة النظير، الذي يجمع فيه بين الأمر وما يناسبه لا بالتضاد(٢)، كقوله تعالى: (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) الرحمن: ٥ ، ولا يخفى

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، (الحديث: ٣٦٥٨) . وأخرجه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، (الحديث: ٢٦٤٩) .

(٢) مراعاة النظير، ويسمى التناسب والائتلاف، والتوفيق أيضا، وهو: أن يُجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد. " الإيضاح للخطيب القزويني ص٣٥٥".

تناسبهما من حيث تقارنهما في الخيال لكون كل منهما جسمًا نورانيًا سماويًا؛ أي مكانهما السماء[١] ، وكذلك الكتْم واللجْم متناسبان من حيث تعلقهما بالفم، وتعاورهما عليه في منعه من الحديث والكلام.

ولما كان الكتم واللجم يتعاقبان على الفم، فإن الحديث الشريف جمع بينهما وجعل الثاني منهما مترتبا في حصوله ووقوعه على الأول، وذلك حين بنى الكلام على أسلوب الشرط، وجعل الثاني جوابًا عن الأول وجزاءً له، وهذا مما يقوّي المناسبة بينهما.

فقوله- صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ" يمثل جملة الشرط، وأداة الشرط "مَن" التي تعُمّ كل من يُسأل عن علمٍ عنده.

وقد اشتملت على فعلين ثانيهما مترتب على الآخر ويعقبه؛ ولهذا عُطِف عليه بفاء الترتيب والتعقيب، بمعنى أن السؤال تبعه وأعقبه الكتمان ومنع الإجابة والكلام.

والجزاء متعلق حصوله على حصولهما معًا، بمعنى أن اللجم يتحقق إذا سبقه سؤال السائل وكتمان المسئول عن الحديث أو الإجابة، فتعلقه بهما تعلق المسبب بالسبب وجودًا وعدمًا.

ولما كان السائل غير معين فقد بُني الفعل "سُئل" للمفعول؛ لبيان أن القصد إلى ذكر السؤال الذي يستوجب سائلا بالضرورة.

وتنكير المسئول عنه "علمٍ" لإفادة النوعية، أي: من سُئل عن علمٍ شرعيٍ يحتاج إليه السائل ضرورة حال السؤال، كمن يسأل عن الصلاة ويخشى فوات وقتها، وكمن جاء مستفتيًا عن الحلال والحرام، أما نوافل العلم التي لا ضرورة

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٣٠٢/٤ " ضمن شروح التلخيص".

بالناس إلى معرفتها فلا تدخل في الوعيد والتهديد بالعقوبة المذكورة في الحديث(١).

وإذا كان العلم الضروري للسائل هو المقصود فإن تخصيصه بالعلم الشرعي لشرفه وأهميته في صحة العبادة وحياة الناس، وإلا فإن أي علم تمثل معرفته ضرورة للإنسان يدخل في العلم المسئول عنه في الحديث الشريف؛ ولهذا جاء منكَّرًا غيرَ مقيَّدٍ بقيد يخصصه بفرعٍ من فروع العلم، وبهذا يكون العلم عاما غير معينٍ، أما قيد الضرورة فيُفهم من لفظ السؤال، فحاجة السائل إلى معرفته تمثل ضرورة حالية.

وجملة جواب الشرط: " أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" تفصح عن وعيدٍ مُرعبٍ مخيفٍ ينتظر كل من يكتم علما يحتاج الناس إلى معرفته؛ لتصح عبادتهم وتستقيم حياتهم.

وجميع ألفاظ جملة الجواب توحي بمعاني: التهويل، والتفظيع، والوعيد الشديد لكل من سُئل عن علم نافع فكتمه، فبناء الفعل "أُلْجِمَ" للمفعول، وتقييده بظرف الزمان "يوم القيامة" ينبئان بهول الموقف الرعيب وقوة وفظاعة اللجم الذي يحتمل أن يكون حقيقةً لتعلقه بيوم القيامة، وأن يكون كناية عن قوة لذع العقوبة والجزاء المناسب للفعل، وتنكير "بلجامٍ" للتهويل والتفظيع.

وقوله- صلى الله عليه وسلم-: " مِنْ نَارٍ" إيغال(٢) فيه مبالغة في تأكيد المعنى وتقويته، لما يضفيه على العقوبة من الشدة والهول والفظاعة؛ لإفصاحه وبيانه عن حقيقة وطبيعة هذا اللجم.

---

(١) ينظر: معالم السنن شرح سنن ابي داود – للخطابي (ت:٣٨٨) ١٨٥/٤. المطبعة العلمية حلب ط: أولى ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

(٢) الإيغال هو: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. " الإيضاح للخطيب القزويني ص١٩٩".

ويُفهَم من الحديث: أن من بذل العلم وبينه وأجاب السائل كان له من الثواب العظيم ما يناسب فعله، وتلك هي غاية التهديد والوعيد بهذا البيان القوي في حديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم– والتي تتمثل في وجوب نشر العلم، وعدم كتمه ومنعه، وحث العلماء على بذل العلم وتوصيله إلى الناس، وتبليغه ابتغاء وجه الله تعالى، ووفاءً بحق وراثته عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وإذا كان بذل العلم ونشره يجب أن يكون ابتغاء وجه الله تعالى، فإن تحصيله وتعلّمه يجب أن يكون خالصا لوجهه تعالى ابتداءً، وهذا ما أكد عليه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حين قال محذرًا من طلب العلم لتحقيق عرَضٍ من الدنيا:

١٦/١٣٩١– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ – عز وجل – لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح(١).

في هذا الحديث الشريف وعيد على تعلُّم العلم لغير وجه الله تعالى. يقول ابن مسعود – رضي الله عنه–:" لا تعَلَّموا العلمَ لثلاث: لتماروا به السفهاء، أو لتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله، فإنه يبقى ويذهب ما سواه"(٢).

وقد عبّر النبي–صلى الله عليه وسلم– عن هذا الوعيد بأسلوب الشرط؛ وذلك لما يؤديه هذا الأسلوب من الربط والتلازم والتعليق بين الفعل والجزاء.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله تعالى، (الحديث: ٣٦٦٤) .
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي١/٧٧.

والفعل هنا: تعلُّم علم مما يبتغى به وجه الله تعالى لأجل عرَضٍ من الدنيا.

والجزاء: الحرمان من عَرْف الجنة وريحها الطيب يوم القيامة.

وجملة الشرط: "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا"، أي: من يتعلم علما، فلفظ الفعل ماضٍ ومعناه الاستقبال. وتنكير "علما" لإفادة العموم، أي: من يتعلم أي علم من العلوم، وتقييده بالوصف "مما يُبتغى به وجه الله عز وجل" لا يتعارض مع إرادة العموم والشمول؛ لأن هذه الجملة صفة كاشفة لحقيقته، ومبينة له، وهادية لما ينبغي أن يكون عند تعلُّم أي علم من تجريد النية وتخليصها لله تعالى ابتغاءً لوجهه سبحانه، فـ "مِن" هنا بيانية كاشفة؛ ومن ثَم استحق هذا الوعيد كل من يصرف نيته لغير وجه الله قاصدا تحقيق عَرَضٍ من أعراض الدنيا.

وجملة" لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا" حال من فاعل "تعَلَّم"، أي: تعلَّمَه حال كونه قاصدا إصابة عَرَضٍ من الدنيا، وليس ابتغاء وجه الله تعالى.

فالقصر في الجملة إضافي؛ لأن المنفي فيه خاص ومعين يُفهم من سياق الكلام، حيث قصر تعلمه هذا العلم على إصابة عرَضٍ من الدنيا ونفاه عن ابتغاء وجه الله تعالى قصر موصوف على صفة.

والمقصود من القصر: تأكيد أنه بدَّل الوجهة والمقصد؛ فتعلَّق قلبه وانشغل عن وجه ربه بتحقيق عرَض أو حظٍّ من حظوظ الدنيا، كالمال، أو الجاه، حتى صار هذا مطلبه ومقصده، وهذا سر التعبير بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء في هذه الجملة المقيِّدة لتعلُّم العلم، والتي تثبت تعلُّمه العلم الذي يبتغى به وجه الله تعالى لأجل أن ينال ويحصّل شيئًا من مُتَع الدنيا، وإن كان قليلا هيّنا حقيرا، وتنفي تعلُّمَه ابتغاء وجه الله سبحانه.

فجملة الحال هذه مقيدة للشرط متممة له، فلا يستقيم بدونها الوعيد المذكور في جملة الجواب، ومعلوم أن القيود تعمل على تحديد المقصود وتركيزه وتوجيهه.

وقد أفاد التعريف بالموصول في قوله-صلى الله عليه وسلم-:" مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ" التفخيم والتعظيم لهذا العلم، ومنبع عظمته في الصلة التي تحدد وجهته ومقصده. أما تنكير "عَرَضا" فيفيد التقليل والتحقير، أي: لا يتعلم هذا العلم إلا ليصيب شيئًا من مُتَع الدنيا وإن كان قليلا حقيرا.

والمقصود: مدح المقصد الأول على الإطلاق، وذم الثاني عند إفراده بالقصد دون الأول، وهذا هو محل الوعيد المذكور، ألَّا يُقصد بالعلم إلا عرض الدنيا.

وأما من طلب بعلمه رضا الله تعالى، ومع ذلك له ميل إلى الدنيا فخارج عن هذا الوعيد(١).

وجملة الجواب " لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" أي: رِيحَهَا. بعض أهل العلم حمل المعنى في هذه الجملة على المبالغة في تحريم الجنة على المختص بهذا الوعيد، كقولك: ما شممتُ قتار قدره، للمبالغة في نفي تناول الطعام، أي: ما شممت رائحتها، فكيف بالتناول؟ وهذا التأويل لا يستقيم؛ فإن المختص بهذا الوعيد إذا كان من أهل الإيمان يدخل الجنة، وإن عوقب على معصية، فالقول بالمبالغة في تحريم الجنة حينئذٍ لا يستقيم، وذلك أنه مقيد بيوم القيامة وأحوال الناس فيه مختلفة(٢).

---

(١) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجة ١١٠/١ باب الانتفاع بالعلم والعمل به. ط: دار الجيل- بيروت.

(٢) شرح المشكاة للطيبي ٦٨١/٢. كتاب العلم.

وذكر بعضهم أنه كناية عن مباعدته عنها، أو عن عدم دخولها إما مطلقا إن استحلَّ ذلك، أو مقيدا بأنه لا يدخلها مع الناجين ابتداءً، أي لا يجد عَرْفها في الموقف الذي هو المراد بيوم القيامة حقيقة(١).

وذكر الظرف "يوم القيامة" يرجّح حمل المعنى على الحقيقة، وهو حرمانه من عَرْفها ورائحتها الطيبة في هذا الموقف الرعيب، فلا يدخل مع الناجين فيه حتى ينال عقابه، فالمبالغة في الحرمان لا في تحريم الجنة عليه، والله أعلم.

(١) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٨٤/٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله وكرمه تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحساب.

وبعد...

فبعد هذه الجولة المباركة في رياض البيان النبوي من خلال تعبيره بأسلوب الشرط عن فضل العلم تعلما وتعليما، يمكننا أن نقطف الثمار الآتية:

١- شيوع استعمال أسلوب الشرط في" باب فضل العلم" من كتاب (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، حيث جاء استعماله في ثمانية أحاديث من جملة سبعة عشر حديثا، وردت في هذا الباب؛ وذلك لما يتميز به هذا الأسلوب من سمات في التركيب والدلالة.

٢- كثرة استعمال أداة الشرط "مَن" التي يُعبر بها عن عموم ذوي العقل أو العلم؛ وذلك لتناغيها مع مقاصد البيان النبوي في حثّ عموم الأمة على طلب العلم وبيان جموم فضله، وعظيم نفعه.

٣- حرص البيان النبوي على الترغيب في طلب العلم ابتغاء وجه الله تعالى، والتحذير والوعيد على كتمانه أو طلبه ابتغاء عرَضٍ من الدنيا، وهذا إبلاغ في البيان به تكتمل الفائدة ويتحقق المقصود ، وذلك بتقليب الفكرة على أكثر من وجه.

٤- ثراء المعنى وزيادة الفائدة في أسلوب الشرط؛ لما فيه من إثبات المعنى نصًّا ونفي نقيضه إفهامًا؛ حيث إن الشرط أحد قيود مفهوم المخالفة.

٥- كثرة التعبير بصيغة الفعل الماضي في جملة الشرط تومئ إلى رغبة النبي-صلى الله عليه وسلم- في حصول الشرط، حتى كأنه يبرزه في صورة الحاصل، كقوله-صلى الله عليه وسلم-: (مَن سلك طريقًا- مَن خرج في طلب العلم- مَن دعا إلى علم).والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهم المصادر والمراجع

١) الإبهاج في شرح المنهاج تأليف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م).

٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي - دار الحديث- القاهرة.

٣) أصول السرخسي- محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي "ت ٤٨٣هـ" ط: دار المعرفة – بيروت.

٤) الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)- الناشر: دار العلم للملايين- الطبعة: الخامسة عشر٢٠٠٢م

٥) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري (ت٥٧٧هـ) - المكتبة العصرية بيروت- ط: أولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٦) الإيضاح للخطيب القزويني - دار الكتب العلمية- بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٧) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (ت ٧٩٤هـ) دار الكتبي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٨) البرهان في أصول الفقه للجويني (ت٤٧٨هـ) ت:عبد العظيم الديب .ط: أولى ١٣٩٩هـ.

٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية- بيروت.

١٠) التلويح على توضيح التنقيح لسعد الدين التفتازاني(ت٧٩٣هـ) . طبعة محمد علي صبيح (د.ت).

١١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ٢٣٦/٢٤ تحقيق: مصطفى أحمد العلوي- طبعة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- المغرب ١٣٨٧هـ.

١٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- تحقيق/شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس- مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ) حاشية الدسوقي على مختصر السعد - (ضمن شروح التلخيص).

١٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه- محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ) الناشر: دار الجيل – بيروت(د.ت).

١٥) خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى . مكتبة وهبة. الطبعة الثالثة.

١٦) دلالة الألفاظ عند الأصوليين دراسة بيانية ناقدة د/ محمود توفيق محمد سعد - مطبعة الأمانة. ط:أولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)- اعتنى به: خليل مأمون شيحا- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

١٨) ديوان النابغة الذبياني ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة- دار المعارف- مصر.

١٩) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)– تحقيق: شعيب الأرنؤوط– الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان– الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٠) سنن أبي داود– أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢١) سنن الترمذي– محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٢٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)– حققه: محمود الأرناؤوط– الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

٢٣) شرح مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) – شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي– الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)– الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٤) شروح التلخيص ط: دار السرور– بيروت (د.ت).

٢٥) عروس الأفراح للسبكي (ضمن شروح التلخيص).

٢٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٧) القاموس المحيط للفيروز أبادي . ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) . الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٩) لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣٠) مختصر السعد على تلخيص المفتاح- "ضمن شروح التلخيص".

٣١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-(صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ) تحقيق : أحمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٢) المطول لسعد الدين التفتازاني . المكتبة الأزهرية للتراث. عن مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠ه.

٣٣) معالم السنن شرح سنن أبي داود – للخطابي (ت:٣٨٨)- المطبعة العلمية حلب- ط: أولى ١٣٥١ه ١٩٣٢م.

٣٤) مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري. ط: دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي).

٣٥) المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي – الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ. م

٣٦) المقتصد شرح كتاب الإيضاح للفارسي في النحو، للإمام عبد القاهر الجرجاني . تحقيق/ كاظم المرجان. ط: بغداد ١٩٨٢م.

٣٧) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (ضمن شروح التلخيص).

٣٨) نهاية السول شرح منهاج الوصول في علم الأصول للأسنوي (ت٧٧٢هـ) مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر. (د.ت).

فهرس المحتويات

م	الموضوعات	رقم الصفحة
١	المقدمة	٣٢٥٥
٢	تمهيد	٣٢٥٧
٣	المقصد الأول بيان أن العلم فتحٌ وعطاءٌ من الله تعالى قبل أن يكون اكتسابا.	٣٢٧٦
٤	المقصد الثاني الحث على طلب العلم، وبيان منزلة العلماء.	٣٢٨٠
٥	المقصد الثالث تأكيد بقاء ثواب العلم بعد موت صاحبه.	٣٢٩٣
٦	المقصد الرابع الحث على بذل العلم والدعوة إلى الهدى.	٣٢٩٧
٧	المقصد الخامس التحذير من كتْم العلم، أو طلبه لتحقيق عَرَضٍ من الدنيا.	٣٣٠١
٨	الخاتمة	٣٣٠٨
٩	أهم المصادر والمراجع	٣٣١٠
١٠	فهرس المحتويات	٣٣١٤